

الواجبات على الآباء

والمربين في أيام الحروب

للاستاذ محمد أبو بكر إبراهيم

المنقش بوزارة المعارف

الواجبات المفروضة على الآباء والمربين في أيام المروءة كثيرة ، وهي في أوقات العسر والبلاء أشد وأكثر وأوسع مدى . إنهم مسئولون عن تربية الأبناء تربية كاملة ليعيشوا عيشة كاملة ، مواجهين ما تأتي به الحياة من بضاعة كلها شدة وبأساء . وقساوة وضراء : يقف أمامها الضعفاء موقف المستسلم المأروم ، ويقابلها الأقوياء مقاومة الكى الجسور . وأكثر ما تحتاج إليه الأمم من مجهود الآباء والمربين إنما يكون في الأوقات العصيبة لأنها تتطلب الإعداد السريع ، والتوجيه الحازم . وتتضاعف هذه الحاجة حينما تشتمل نيران الحروب ، لأنها تغير كثيرا من النظم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ، وتمس مرافق الحياة وشؤون المعيشة ، وقد لا تدع شيئا صحيحا ، ولا أديبا سليما . ولا مفر من لقاءها بما يعالج قسوتها ، ويخفف حدة ، ويقلل ضررها .

ورب ملاح ماهر ، اشتدت على سفينة الرياح في يوم عاصف ، وهاجت عليه الأمواج من كل جانب ، فاستفاد من احواصف ونجا من القواصف .

وليس في الأزمات التي رافقها التاريخ مثل هذه الأزمات القائمة الآن ، الناتجة من الحروب الناشئة التي ابتدعتها العقل البشري الجبار ، وتفنن في أساليبها القتالية ، ووسائلها الفتاكة ، ولم يمنعه حياء ولا خوف ، ولم يردعه ضمير ولا دين ، حتى امتد طغيانها في الشمال والجنوب ، والشرق والغرب . وأحاطت دوائرها السوداء بالقطين ، وبخط الاستواء . فاضطرب ميزان العالم ، وتأثرت نواحيه المختلفة . ولا مناص لنا من اجتياز هذه المرحلة بمثل ما اجتازها به أمة كريمة بأسلة .

وللا باء والمربين في هذا الموقف نصيب كبير ، وعليهم واجبات مضاعفة ، في طليعتها أن يوجهوا جهودهم إلى تقوية العقيدة الوطنية في نفوس الناشئين ، ولما كان مستقر هذه العقيدة — كاستقرار الإيمان سواء بسواء — في أعماق القلب ، لا في أطراف اللسان ، كان غرسها في النفوس بالاستمالة والإيحاء والاستهواء . لا بالقهر ، ولا بالأوامر والنواهي ، حتى نموا طبيعيا كنمو النبات صادف أرضا خصبة وبيئة صالحة . والعقيدة إذا رسخت كانت أصلا ثابتا للفرائض الاجتماعية ، والآداب الفردية ، والسعادة القومية .

والحاجة ملحة في الوقت الحاضر— وهو وقت الكفاح والنضال — الى بث روح الجهاد الحق في نفوس الشبان . وليس الجهاد بمقصود على الذهاب الى ميادين القتال ، والاستعداد للالقاء الأعداء ، بل يكون أيضا بتحصيل العلوم المفيدة ، والتمسك بالعقيدة الوطنية ، والتأديب بآداب الدين ، واحترام القوانين الوضعية وغير الوضعية ، وأداء الواجب أداء حقا بإتقان تام وطاعة خالصة ، والخضوع لسلطة الآباء وأولى الأمر والحكم خضوعا مطلقا ، لا ترد فيه ولا تمزّد . وإلا سادت الفوضى وساء المنقلب ” ولا رأى لمن لا يطاع “ ولا يمكن أن يشب الشبان على حب الجهاد الوطني ، إلا اذا مروا على هذه الأمور جميعها ، مرانا محكما حازما ، لا طيش فيه ولا تهوّر ، ووجدوا أن آباءهم وقادتهم وزعماءهم ومريهم ، قد شغفوا حبا بهذا المبدأ المجيد ، وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم يذاونها بسخاء وكرم : في الدفاع ووسائله ، وفي التبرعات لليوش تتي البلاد ، وتصد الغارات ، وتعمل لإحياء مجد الوطن ورفع شأنه . وينفقونها بربة ومحبة ، في إنهاض المشروعات الوطنية : زراعية كانت أو تجارية أو صناعية . فهذه اشروعات هي ينابيع الحياة الفياضة ، المليئة بالنشاط الجلم والخير العميم : يردها أبناء الوطن فينافسون لأجانب منافسة بريئة عادلة .

وإنما كبيرا أن يقصر الآباء في تهيئة المشروعات ، وتهيئة الأبناء لها . اعتمادا من هؤلاء وهؤلاء على الوظائف الحكومية التي أصبحت محدودة قليلة العدد ، وأصبح المتطالبون لها كثيرين لا يخصى لهم عدد . وهذا الاتجاه الخاطئ جعل الآباء يفتقون السهم على الأبناء ، وينمرونهم بالأموال والمتع وألوان الترف ، وهم ما زالوا في طور النشئة ، فجرهم هذا الإفراط في العطف عليهم ، الى ضعف المقاومة لما يلاقهم في مستقبل حياتهم من صعاب وشدائد ، وجعلهم يشعرون بحرية فوضوية ، ولا يستشعرون سلطة ولا حكما ، وهذا هو أصل العلة وأس نداء ، لأنه مكنهم من اللهو بلا رقابة ، وقادهم الى الهوى وصرفهم عن الجهد . ولا بد من مقابلة هذه الحال بالشدة من جانب الآباء ، ولا أقصد بها الضرب بالعصا ، أو الجلد بالسياط ، لأن هذا اللون من التأديب يمت القلوب الحية ، ويكبت النفوس المتوقدة ، وإنما أريد أن يحفظ الآباء سلطانهم على الأبناء ليستطيعوا إخضاعهم للأوامر عن حب واحترام ، وأن يقبضوا أيديهم عن النفقات الباهظة ، ليأخذوهم بشيء من الحشونة والسظف ، ويعتدوهم لأيام المحن والبلاء .

وثمة ناحية هامة هي أن يعمل المربون على تقوية الروح المعنوية في نفوس الطلاب وأساسها الإيمان بقضاء الله وقدره ، والاعتقاد الجازم بالفوز بعد الصبر وبعد العمل ، وإثارة المصلحة العامة على المصلحة الخاصة ، وتفضيل الاستشهاد على النصر . كما كان المسلمون في صدر الإسلام يفعلون . حتى إن بعضهم لم يقبل عند خروجه للجهاد — أن يدعو له المودعون بالرجوع معافي سليما . بل طلب إليهم أن يدعوا له بالشهادة في سبيل الله .

ومن الخير للوطن وأوطنيين أن يعمل الآباء والمربون على تهذيب الخوف عند الأبناء بالحيلولة بينهم وبين ما يشير إليه الخيال الجامحة وانحرافات الكاذبة التي تقذف الرعب في القلوب ، وتدخل الذعر على النفوس . وأكثر ما تتولد هذه المخاوف حيناً تكثر الاشاعات الكاذبة ، والأراجيف الباطلة في أيام الحرب فتكون مدعاة إلى التضليل ووسيلة إلى الخلع .

ولقد لعن الله أولئك الذين يذيعون الأخبار السيئة المشوهة ، وأنذرهم بالتكلم بهم ، وطردهم من البلاد في قوله تعالى :

”لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لِنُفِركَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُحْجِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا * مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقُفُوا أَخَذُوا وَفُتِلُوا تَفْتِيلًا“ .

ولهذا كان لزاماً أن نصح الآباء أبناءهم بالتروى والتثبت وإعمال الفكر والاستنباط فيما يسمعون من لحن وأوشايت . ولا تحبطوا ، وساروا على غير هدى . وطارت عقولهم من الخوف ، فلا شجاعة ، إلا بسالة .

والناس في حالات الذعر الذي يغطي على أفئدتهم : يتدافعون ولا يفعلون شيئاً ، ويموج بعضهم في بعض ، ولا يهتدون سبيلاً : ” كالبحر يقذف أمواجاً بأمواج “ .

محمد أبو بكر إبراهيم